

# باب الكتب

## مخطوط كتاب الفاضل في صفة الادب الكامل

لمحمد بن احمد بن اسحاق المعروف بالوشاء

يوسف يعقوب مسكوني

١ - الوشاء :

الوشاء من رجال القرن الثالث والرابع الهجريين ومن مؤرخي وأدباء القرنين المذكورين ناهيك عن كونه من النحاة البارزين ، له صولات وجولات في التاريخ والأدب والنحو ، إذ ترك لنا تراثاً خالداً ، يمتاز بالدقة والذوق في التأليف إلا أنه وبالأسف لم يصل إلى أيدينا كل ما خلفه لنا من تراث وأثر ، في هذه الميادين من العلم والمعرفة ، فلم يصل إلى أيدينا من مخططاته إلا النزر اليسير ، وقد ضاع معظم ذلك التراث الغني بالمعلومات التاريخية والأدبية ، وقد عني العلماء من شرقيين وغربيين في هذا القليل الذي وصل إلى أيدينا ، وقد ترجمه عدة أدباء ومؤرخين كابن النديم صاحب الفهرست وابن الجوزي صاحب المنتظم وياقوت الحموي في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، أي معجم الأدباء

وابن الأباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ثم نقل  
 عنهم كثيرون كالسيوطي في بغية الوعاة ، والزركلي في الاعلام وإسماعيل باشا البغدادي في  
 هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ويوسف اليان سر كيس في معجم المطبوعات  
 والمستشرق الألماني بروكلان وغيرهم وغيرهم ، وأوسع من تدرج في ترجمته ياقوت الحموي  
 صاحب معجم الأدباء حيث قال بالنص : « محمد بن أحمد بن أسحاق بن يحيى الوشاء أبو  
 الطيب النحوي : من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف ، أخباري وقال أبو الفرج  
 عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تأريخه : مات أبو الطيب الوشاء سنة ٣٢٥ هـ . وله ابن  
 يعرف بابن الوشاء . حدث الوشاء عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن أسامة وثلعب  
 والمبرد . قال الخطيب : روت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد . قال ابن النديم وكان  
 نحويًا معلمًا لمكتب العامة وكان يعرف بالأعرابي وله من الكتب : كتاب مختصر في  
 النحو ، وكتاب الجامع في النحو ، وكتاب في المقصور والممدود ، وكتاب المذكر  
 والمؤنث ، وكتاب الفرق ، وكتاب خلق الانسان ، وكتاب خلق الفرس ، وكتاب المثلث ،  
 وكتاب اخبار صاحب الزنج ، وكتاب الزاهر في الأنوار والزهر ، وعلق مرغليوث في  
 الحاشية من طبعته : إن القفطي سماه ( كتاب الزاهر والازهار ) كما ذكر له كتابًا آخر  
 سماه ( زهرة الرياض ) وقال : هو كبير في عدة مجلدات ملكت نسخة قيل إنها بخطه في  
 عشر مجلدات تشتمل على أنواع وأبواب من المنظوم والمنثور في حسن اختيار ، تدل على  
 كثرة الاطلاع والبحث ، وكتاب السلوان وكتاب المذهب ، وكتاب الموشح ، وكتاب  
 سلسلة الذهب ، وكتاب أخبار المتطرفات ، وكتاب الحنين إلى الاوطان ، وكتاب حدود  
 الطرف الكبير ، وعلق مرغليوث في طبعته لمعجم الأدباء له ( الطرف ) وفي إنباه الرواة  
 ( كتاب الطب الكبير ) ورواية الفهرست ص ٨٥ ( الطرف ) وكتاب الموشا ( كذا ) « أي  
 الموشى » ثم قال ياقوت : « نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاتي أنشدني

الشافعي أحمد بن محمد الشدني أحمد بن محمد بن حفص أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه :  
لا صبر لي عنك سوى أنني  
من كان ذا صبر فلا صبر لي  
أرضى من الدهر بما يقدر  
مثلي عن مثلك لا يصبر  
ومن خطه واسناده للوشاء :

يا من يقوم مقام الروح في الجسد  
حاشاك من أرقى حاشاك من قلقي  
حزني عليك جديد لا نفاذ له  
والصبر عنك قليل مضمم قلقتا  
لا تحسبني خلي الببال من سهد  
حاشاك من طول ما ألقى من الكمد  
أوهي فؤادي وأوهي عقدة الجلد  
بين الضلوع كصبر الأم عن ولد

( معجم الأدباء لياقوت الحموي ط . مرغليوث ج ٦ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ سنة ١٩٣٠ ) .

أما السيوطي في بغية الوعاة فلم يزد على ياقوت شيئاً سوى أنه ذكر للوشاء كتاب خلق  
العرش ولعله محرف كتاب خلق الفرس المذكور آنفاً وبعد أن أورد البيهقي الأولين  
الآنفي الذكر زاد أنه روى عن عبد الله بن أسعد الوراق وطبقته ( بغية الوعاة لسيوطي  
ص ٧ - ٨ مطبعة السعادة ) أما ابن الأباري فلم يذكر له أي كتاب بل اكتفى بترجمة  
مختصرة للغاية ، ومثله فعل صاحب هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المعاصرين  
إسماعيل باشا البغدادي إلا أنه ذكر معظم تصانيفه ( ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ طبعة استانبول  
سنة ١٩٥٥ ) وذكر له الزركلي صاحب الاعلام في ترجمته أنه من أهل بغداد ولا يعرف  
مولده ، وإنما يذكر وفاته فقط سنة ٣٢٥ هـ ( ٩٣٧ م ) وذكر له كتاب الفاضل من  
الأدب الكامل وهو مخطوط ، وهو الكتاب الذي نحن بصددده والذي نحتفظ به في  
خزانتنا في جزأين كما سيأتي ذكره وتفصيله ، كما أنه ذكر ورود اسمه في تاريخ بغداد  
للخطيب البغدادي أنه محمد بن اسحاق . ( ج ١ ص ٢٥٣ ) . وكذلك ذكر كتاب الموشى  
المطبوع عدة طبعات بأن ناشره أضاف إليه كلمة « في الظرف والظرفاء » ثم قال : إنه

كان يعرف ابن الوشاء (الاعلام ج ٦ ص ١٩٩) وبروكلمان نموذج ٧٩ و Brock, S. 1 : 189 ومثلهم فعل صاحب معجم المطبوعات يوسف إيلان سر كيس وقال : له من التصانيف ما يقارب العشرين كتاباً منها زهرة الرياض ، عشرة مجلدات تشتمل على أنواع ، وأبواب من المنظوم والمنتور في حسن اختبار تدل على كثرة الاطلاع والبحث . ثم ذكر كتاب الموشى وهو الكتاب المطبوع عدة طبعات أشهرها وهي المفهرسة نسخة ليذن المطبوعة سنة ١٣٠١ هـ ( ١٨٨٦ م ) باعتناء رودلف برونو وطبعات أخرى مصرية قديمة وحديثة ( معجم المطبوعات ص ١٩١٩ ) .

ومن ذكر كتاب الفاضل هذا كتاب كشف الظنون ولكنه ذكر بعنوان محرف ولم نثر عليه إلا أن ناسخ هذه المخطوطة قد دون على أول صفحة من المخطوطة أن ذكره قد وقد ورد في كشف الظنون للحاج خليفة المعروف بكاتب جلبي كما ذكر الناسخ أيضاً اسم كتاب آخر للمؤلف الوشاء في نفس الصفحة بقوله من خطه : « مؤلف هذا الكتاب كتاب آخر اسمه كتاب (الابتهاج في العبر المؤدي إلى جميل الراحة والانفراج) وذكرت مجلة لغة العرب التي كان يصدرها الأب انتاس ماري الكرملي ببغداد في المجلد التاسع لسنة ١٩٣١ وهو المجلد الأخير لصدورها هذه المخطوطة دون معرفة مؤلفها بعنوان ( كتاب نفيس في البلاغة مجهول المؤلف ) وبعد سرد البحث فيه وعن ابوابه قالت المجلة : ( هل من مطلع بصير يفيدنا عن اسم مؤلف هذا الكتاب الجليل ؟ ) ... وقد أجاب الدكتور مصطفى جواد بأنه للوشاء بقوله : « بعد أن طالعنا كتباً عديدة لتبين اسم صاحب هذا الكتاب اصبتنا انه محمد بن اسحاق بن يحيى النحوي المعروف بالوشاء ) — راجع لغة العرب ج ٩ ص ٢٨٢ ، ٣٧٧ ، ٦٨٤ — .

أما معنى الوشاء فقد جاء في كتاب سفينة البحار في مدينة الحكم والآثار للمحدث المحقق الشيخ عباس القمي في جزئه الثاني في باب الواو بعد الشين وفي ترجمة الحسن بن

علي الوشاء من ٦٥٦ ما نصه : « ... أقول : الوشاء بالشد والمد بياع الثوب الوشي أي المنقوش أو هو الناقد والمراد منه الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي الكوفي من أصحاب الرضا (ع) ... إلى آخر الحكاية » وقد يكون الوشاء ممن امتهنوا هذه المهنة ولعله سعى كتابه (الموشي) بهذا العنوان تخليداً لمهنته هذه . والشوي والتطريز والنقش من الفنون المعروفة إلى الآن .

## ٢ - المخطوطة :

تحتوي هذه المخطوطة على ثلاثة كتب مستقلة قائمة بذاتها أولها كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل بحسب ما ذكر الناسخ في ختام الجزء الثاني منه ، وهو في جزأين منفصلين أما الكتاب الثاني فهو بعنوان ( كتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان ابن هود النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو في ثلاثة أجزاء . والثالث ( كتاب حرب البسوس بين بكر وتغلب ) وهو في ثلاثة أجزاء وملحق في آخر المخطوطة كتاب في جزء واحد عنوانه : ( خبر الحقة ابنة النعمان واستجارتها ببني شيبان ) ، والمخطوطة كلها من خط يد واحدة وتنسيق واحد ، وخطها واضح جداً وعناوين الفصول والمواضيع مكتوبة بالخط الأحمر ، والكتابة بالخير الأسود الثابت الجيد . وجاء في نهاية الجزء الأول من الفاضل هذه العبارة : تم الجزء الأول من جزئين من كتاب الفاضل بتوفيق الله وعونه ولطفه ويتلوه الجزء الثاني من جزئين من كتاب الفاضل والحمد لله » : وجاء في نهاية الجزء الثاني هذه العبارة : تم الجزء الثاني من جزئين من كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل : وجاء في ختام الجزء الثالث من كتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود صلى الله عليه وسلم هذه العبارة : وبه تمام الكتاب وذلك وقت الضحى من يوم الأربعاء السادس عشر من شهر شوال المكرم لسنة احدى عشر ( كذا ) ومائتين بعد الألف من الهجرة

النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، بخط محمود بن عثمان الشهير بخطيب النعمانية عفى الله عنه ورزقه زيارة أشرف البرية وسائر المسلمين من الأمة المحمدية آمين يا رب العالمين : ثم دون في أسفل هذه الصفحة هذه العبارة : « قد بلغ المقابلة بقدر الطاقة بمطالعة أقر الوراء (كذا) لعفوريه تعالى محمد كاتب يكجيران بغداد . وفي نهاية المخطوطة أي في نهاية ملحق حرب البسوس وردت هذه العبارة وهي : « تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه سنة ١٢١١ » وهي لا شك أنها سنة ١٢١١ هـ الموافقة لسنة ١٧٩٦ - ١٧٩٧ م . قلت وجامع النعمانية جامع صغير يلاصق الأعدادية المركزية ويقابل البريد المركزي ببغداد اليوم أما مساحة المخطوط فهي ٢٤ سنتيمترا طولا و ١٥ سنتيمترا عرضاً وعدد سطور كل صفحة خمسة وعشرون سطراً بالخط الواضح الجيد .

#### مقدمة كتاب الفاضل

قال المؤلف بعد البسملة : « أطال الله في ظل أفياء السلامة بقالك ، وحجب عن غير نوايب الدهر نعماك ، وجعلك لتوخي سبوغ النعم ممتلاً ، ولآمال مؤمل الافضال مؤثلاً ، ومتعمك بوفاء عهود أودائك ، وبلغك الغاية من تأميل ذوي المودة من أوليائك . قرأت متعمك الله بالسلامة ، وحباك بالزلفة والكرامة ، ما كنت تشكوه إلينا من قلة الثقة بأصحابك ، وما تحمل من معاناة تلون الصديق ، وسرعة ملل الرفيق ، وتفهم رذالة الحميم ، وشراسة خالق النديم ، وسألت أن أختار لك نديماً ، متندياً كريماً ، استعين به على طوارق غمومك ، وتنفي به متكائف همومك ، وتفزع إليه من سهرك ، وتدعو به عند ضجرك ، وتعتمد عليه في أمورك ، وتستعده لسرورك ، قرأت استفراغ المجهود في طلب ذلك عندي ، ووجدان من ارتضى خلايقه لمنادمتك عسراً ، وأحببت أن أحبك بنديم يروقك منظره ، ويسرك مخبره ، وتطيب مشاهدته ، وتكثر محامده ، وتقل ذنوبه ، وتفتقد عيوبه ، إذا

دعوته أسرع ، وإذا حدثك أمتع ، وإذا سألته أجب ، وإذا تكلم أصاب ، وإذا استرففته رفق ، وإذا استنطقته نطق ، لا يرهقك عسراً ، ولا يحملك صبراً ، بلقي عنك مؤنة الحشمة ، أميناً على المال والحرمة ، أستدعي به منك دوام الاخاء ، وأجيب به عليك جميل الثناء ، فصنعت لك كتاباً في البلاغة والايجاز والبراعة ، ضمنته موجزات الخطب ، ومنتخب بلاغات العرب ، مما حفظ من ملح كلامها ، ومختصر ألقابها ، وموجز خطبها ، وبراعة أدبها ، ونادر خطبها ، ومسرع جوابها ، ومعجب قرايحها ، ومعجز بدايها ، إلى شيء من بلاغة البلغاء ، وفصاحة الفصحاء ، وجواب الأدباء ، وايجاز الخطباء ، ومحاوره الخلفاء ، وتهادي الظرفاء ، ومكاتبة الأمراء ، ونوادر الشعراء ، وحصافة ذوي الألباب ، وثقافة أذهان الكتاب ، وريافة عقول النساء ، وتكامل أدب الإماء - أي فطانة أديهن - ونظمته بما انتظم ، من الحكم المحفوظة عن حكماء العجم ، ووصايا المحتضرين ، وحكم المجانين ، وقدمت ذكر براعة العرب على غيرها من الناس ، لتقدمها في الفضل على سائر الأجناس ، ولأن الله تعالى قد شرفها برسوله ، وفضلها بتثريته ، وخصها بالخطاب المعجز ، واللفظ الموجز ، والسؤال الشافي ، والجواب الكافي ، فهم أمراء الكلام ، ومعادن العلوم والأحكام ، منهم ترد البلاغة ، واليهم ترجع البراعة ، وعندهم تؤخذ الفصاحة ، والناس بلغتهم مقتدون ، ولآثارهم متبعون ، وترجمته بكتاب الفاضل لفضله على كل كتاب كامل ، فأرسلت به إليك لا ممتناً به عليك ، لتجعله بدلاً من الجليس ، وخلفاً من الأيس . وقد صدرت أمام ما ضمننت لك من ذلك فصلاً ضمنته كلاماً جزلاً ، في صفة أنسية البلاغة ، وفضل الفصاحة والبراعة ، فقف على ما فيه من فضله ، وبيئت من معرفة مقادير نيله ، لتعلم إذا أنعمت الاختيار ، أني أحسنت لك الاختيار إن شاء الله تعالى .

هذه هي مقدمة الكتاب ومن قراءتها نستدل على الغاية التي وضع المؤلف من أجلها الكتاب ، وهو كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل وهو ليس كتاب الفاضل للعلامة

المبرد الذي سبق أن حققه وطبعه الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني صاحب التحقيقات من المخطوطات العديدة التي زار العراق سنة ١٩٥٨ م في طريق عودته من بلاد المغرب وتونس ومصر الى بلده كراچي في باكستان .

أما أبواب ومصول الجزء الأول من الكتاب فعناوينها كما يأتي :-

- ١ - باب في صفة البلاغة وفضل الفصاحة والبراعة .
- ٢ - « البلاغة في الخطابة من أهل الفصاحة والدراية .
- ٣ - « من أدركه الحصر في خطبته فأحسن العبارة في حجته .
- ٤ - « بلاغات الوفود في حسن البديهة والتسديد ،
- ٥ - « البلاغة في احتجاج الأسارى وحسن قول الموثقين والخياري .
- ٦ - « « من ذوي الرجاحة في حسن البيان والفصاحة .
- ٧ - « « من ذوي الألباب في حسن المعارضات في الجواب .
- ٨ - « « من الأدباء في مخاطبة الخلفاء ومحاوراة الأمراء .
- ٩ - « « في حسن الاعتذار وتجاوز ذوي المقدرة عن الاحرار .
- ١٠ - « « من البلغاء اللسن وطعنهم على النوكي اللسكن .
- ١١ - « « في مكاتبات ذوي الألباب وتوقيعات السلطان وتهادي الكتاب .
- ١٢ - « « من الحكماء والصفح من أهل المقدرة عن السفهاء .
- ١٣ - « « من الخلائف الاموية وماؤوريتهم المرضية .
- ١٤ - « « خلفاء بني هاشم والمأثور عنهم من الآداب والمكارم .
- ١٥ - « « ذوي المآرب في حسن التعزية عن المصائب .
- ١٦ - « « بمن جمع بين تهنئة إعطية وبين تعزية برزية .
- ١٧ - « « فيمن يعزى عن مصيبتة وحسن صبره في رزيتة .

١٨ - باب البلاغة من وصايا المحتضرين ذوي الآراء والعقل الرصين .

١٩ - « « « العلماء في وصايا الأمراء .

هذه هي أبواب الجزء الأول من كتاب الفاضل ولبیان فائدة الكتاب أنقل الباب الثالث من هذا الجزء لاطلاع القراء على منزلة هذا السفر الجليل وعلو كعبه في البلاغة والفصاحة اللتين تضمنتهما لغتنا أم الضاد العربية مع العلم بأن هذا الباب من أقصر الأبواب في الكتاب المذكور .

### الباب الثالث

- باب من أدركه الحصر في خطبته فأحسن العبارة في حجته -

روى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه فقال : أيها الناس سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي بياناً وانكم الى أمير فعمال أحوج منكم الى امام قوال . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم . واخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى ان خالد بن عبدالله القشيري - واظنه تصحيف «القسري» - صعد المنبر فأرتج عليه فقال : أيها الناس ان هذا القول يجيء أحياناً ويذهب أحياناً فيتسبب عند مجيئه سبه ويعزب عند غروبه طلبه وربما كوثر فأبى وعولج فعصى . والترك لأبيه أفضل من التعاطي لجيئه وتجاوزته عند تعذره أولى من طلبه عند تبرجه - أي تهوره - فقد يحتلج على الجري جناحه ويرتج على البليغ لسانه . ثم نزل عن منبره وهو أخطب من رأينا . ونمي إلي ان ابا العباس امير المؤمنين القائم صعد المنبر فلما قال الحمد لله ارتج عليه فنزل ثم رقي المنبر فقال ايها الناس انما اللسان بضعة من الانسان يكل بكلامه إذا كل . وينفسح بانفساحه إذا أنفسح نحن امراء الكلام ومنا تفرعت فروعها وعلينا تهدات غصوننا - أي تدلت - ونزل فبلغ ذلك أبا جعفر المنصور فقال : لله هو . لو خطب بمثل ما اعتذر

لكان اخطب العرب . وولى يزيد بن المهلب مولاه ثابت بن قطنة بعض الكور - وهي جمع المدائن - فلما صعد المنبر ارتج عليه فنزل وهو يقول : قالوا اكن خطيباً فأنني ضروب بماضي الشفرتين صقييل - والشفرة بالفتح السكين العظيم - فبلغ ذلك يزيد فقال : لو قالها على المنبر لكان اخطب الناس . وبعض ما مرّ في هذا الباب يتفعل فأقنع ان شاء الله تعالى .  
وهذه أبواب وفصول الجزء الثاني من كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل .

- ١ - باب البلاغة من ذوى الرشاد في حسن وصاية الأولاد .
- ٢ - « « « الأمراء ذوى السداد في وصايا الوكلاء والأجناد .
- ٣ - « « « الحكماء .
- ٤ - « « « الأعراب في شكوى الفقر وصفة الجذب .
- ٥ - « « « في صفة القفار وصفة السحاب والأمطار .
- ٦ - « « « في حسن السؤال وطلب المعروف والنوال .
- ٧ - « « « في طلب الحاجات من الأحرار ذوى المرات والأقدار .
- ٨ - « « « في مدح الرجال ووصف ذوى المروة والافضال .
- ٩ - « « « في ذم الرجال وذكر ذوى الجهالة والضلال .
- ١٠ - « « « في مدح قبائلهم ووصف قومهم وعشائرهم .
- ١١ - « « « فيمن اخلصوا له الدعاء وطلبوا له العمر والبقاء .
- ١٢ - « « « فيمن يدعو عليه لا يأسهم مما في يديه :
- ١٣ - « « « فيما سئلوا عنه من اللذات وتخييل طيب العيش والشهوات .
- ١٤ - « « « في صفة الأحياب .
- ١٥ - « « « في الحكمة وسائر الآداب .
- ١٦ - « « « في مواعظ الاخوان والأصحاب .

١٧ - باب البلاغة من الأعراب الأتقياء في حسن الإبهال والدعاء .

١٨ - « « « النساء ذوات الدراية والفصاحة .

١٩ - « « « المتأديات في حسن وصايا البنين والبنات .

٢٠ - « « « في وفاتهم .

٢١ - « « « الاماء المتطرفات ومداعبتهم في الخلوات .

٢٢ - « « « الغلمان ونادر براعة الصبيان .

٢٣ - « « « الأكاسرة وحكام الفرس والأساورة .

٢٤ - « « « العجم وما يؤثر عنهم من سائر الحكم .

٢٥ - « « « المجانين وما يؤثر حكم الموسوسين .

فيكون مجموع أبواب الجزئين ( ٤٤ ) بابا في مختلف المواضيع من البلاغة ونماذج الفصاحة من حكم وأقوال ومواعظ وارشادات وخطب وأشعار مما يفيد المطالع والقاري والدارس والمتتبع والباحث في التأريخ والأدب . واتماماً لتنوير المطالع والقاري انقل الباب الأول من الجزء الثاني من كتاب الفاضل هذا فهو خير نموذج على محتوى هذا الكتاب النفيس في ضروب البلاغة وأنواع الفصاحة في القول والموعظة .

### الباب الأول من الجزء الثاني

— باب البلاغة من ذوى الرشاد في حسن وصاية الأولاد —

قال هشام بن الكلبي : جمع عبد الملك بن مروان بنى امية فقال : يا بني امية ابذلوا نداكم وكفوا إذاكم واعفوا إذا قدرتم فانما العفو بعد القدرة والثناء بعد الخبرة ولا تلحفوا — أي لا تلجوا — إذا سألتكم ولا تبخلوا إذا سئلتكم فان خير المال مال أفاد حمدا ونهى ذمما ولا تقولوا كما يقول اللئام كان حجتهم إذا سئلوا أبداً بمن تعول انما الناس عيال الله وقد تكفل بأرزاقهم وجعل رزق بعضهم من بعض فمن ضيق ضيق الله عليه ومن أعطى خلف الله له .

يا بني مروان أحسابكم أحسابكم فما ضر قوم قيل فيهم بعد قول زهير ووددت أن البيت قيل في قومي :-

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين الساحة والبذل  
وما نفع قوما مدحوا به بعد قول الأعشى ما يسرني أنه قيل في قومي وان الدينسالي  
بأسرها :-

بيبتون في المشتاء ملاً بطونهم وجراتهم غرثاً (كذا) يتن خمائصا - غرثي جياط -  
وقال الأصمعي : اخبرني ابن الزباد عن هشام بن عروة قال أوصى بنيه فقال : لا يهدين  
أحدكم الى ربه ما يستحي أن يهديه الى كريمة فان الله أكرم الأكرمين وأحق من اختيار له .  
يا بني تعلموا فان تكونوا صغار قوم فمسي أن تكونوا كبار آخرين وإذا رأيتم من رجل خلة  
راية من خير فلا تقطعوا أملككم منه وان كان عند الناس رجل سوء فان لها عنده أخوات  
وإذا رأيتم من رجل خلة راية من شر فاحذروه وان كان عند الناس رجل صدق فان لها  
عنده أخوات ثم قال ان الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم . وقال سعد القصير لابنه : يا بني  
أوصيك بوصية ان لم تحفظها مني كنت جديراً أن تحفظها من غيري . يا بني أظهر اليأس فانه  
غنى وإياك وطلب الحاجات فانه فقر حاضر وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع وأنت ترى  
أن لا تصلي بعدها أبداً . وان استطعت أن تكون غداً خيراً منك اليوم واليوم خيراً منك  
امس فافعل وإياك وكل شيء يعتذر منه فانه لا يعتذر إلا من شر . وإياك أن تحزن على شيء  
آتاك الله خيراً منه . وقال ابن المقفع لابنه يا بني الصبر على كلمة تسمعها خير من ألف كلمة  
تطلب التخليص منها فأكرم نفسك عما الخير في غيره . وقال منذر بن مالك لبنيه :- يا بني  
ألزموا الاناة تفر قد حكم واغتنموا الفرصة تدركوا طلبتكم وأنشد :-

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل  
وربما فات بعض القوم أمرهم مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وأوصى عمرو بن كلثوم بنيه فقال : يا بني ما عبرت أحداً قط بشيء إلا عبرت بمثله إن حقاً فحقاً وأن باطلاً فباطلاً من سب سب كفوا عن الشتم فإنه أسلم للأعراض أحسنوا جواركم بحسن ثنائكم وامنعوا ضيم الغريب والقريب فانك تذل على قريبك ولا تحمل بك ذل غريبك وإذا حدثتم فعوا وإذا حدثتم فأوجزوا فإن مع الاكثار يكون الاهدار - أي سقط الكلام - ولا خير فيمن لا روية له مع الغضب ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب وشر الناس من لا يرجى خيره ولا يتقى ضره . وقال المدايني : أراد ابن الاعرابية سفراً فقالت له أمه : يا بني انك تجاور الغرباء وترحل عن الأصدقاء ولعلك لا تلقى غير الأعداء فخالط الناس بالسير واتق الله في السر واستودعك الله وعليك السلام . وقال العتيبي سمعت إعرابياً يوصي ابناً له وهو يقول يا بني ان لحقتك صعوبة امر فاستصعب له تمل مرا كبه وتلن جوانبه وقارع الدهر عن أحداثه وأصبر لنوابيه لتعلم أنك من أقرانه . وسمعت إعرابياً يوصي ابناً له فقال : أي بني ان صحبة الرجال ذل وذل الصحبة أيسر من مضاضة الخلة فان دعوتك اليها حاجة فاستكرم الصاحب وان صحبتك ولا محالة وأصارك الدهر الى مكروه ذلك فاحتجب بالصبر واستزد بالشكر . وأوصى إعرابي بنيه فقال : يا بني عاشروا الناس معاشرة ان غبتم عنهم حنوا اليكم وان تم بكوا عليكم . وهذا باب قد ذكرته في كتاب جليل وكلام طويل فأغنى ذلك عن التطويل فأعرفه ان شاء الله تعالى . « اه .

هذا فيض من فيض وقطر من بحر من هذا الأدب الراقى الجم الحافل بالمثل العليا والأقوال المثلى النافعة مما لا يستغنى عنه كل محب ومغرم في الأدب العربي ومكوناته الفياضة وملحه الممتعة وبراعته الفائقة من حكماء العرب وشعرائهم وأدبائهم وناطقهم سعة من هذه اللغة المضمخة بعطور الألفاظ وحسن التعبير وبلاغة الأيجاز فبذت كل لغة في العالم بحلتها القشبية وبيائها المعطار وحسنها الفتان .

يوسف يعقوب مسكوني